

أدب الثورة والكفاح

للاستاذ كامل السوافيري

وصراع النفوس والقلوب . ولا بد أن تتضافر الجهود وتتعاون القوى ليخرج الشرق من هذا الصراع مرفوع الرأس وضاح الجبين

ولقد راهني أن يكون الأدب بمنأى عن هذا الصراع الحاد الذي يتدلع لهيبه يوما بعد يوم . وكم أسفت حين تطلعت فرأيت الفن لا يسهم في هذه المركة بين الشرق الإسلامي والغرب، أو بين المسلمين والمستعمرين ، وللأدب نفوذه وسلطانه ، وللفن عرشه وسولجانه ، وللأدباء في الأمة السكينة السامية، والنزلة العالية، هم النجوم التي ترشد السارين إذا كفر الجور وأظلم الأفق ، وهم المصابيح اللامعة التي تهدي الضالين إذا تشعبت السبل ، وتمددت المسالك

إنى لا أريد أن آتهم الأدياء بأنهم تنكروا لأنهم ، وتجاؤا عن مجتمعهم ، حين عاشوا منطوين على أنفسهم ، في أبراجهم العاجية ، لا يحسون بإحساس أمتهم ، ولا يشاركون مجتمعهم آلامه وآماله ، فكان إنتاجهم في الكثير الغالب مرآة انعكست عليها حياتهم الخاصة ، مما دعا الأمة والمجتمع إلى الانصراف عن هذا الأدب الذي لم تجد فيه شخصيتها، ولم يحس فيها المجتمع بوجوده وكان الأدياء مسئولين عن هذه الجناية، لأنهم هم الذين أتاحوا للقراء الانصراف عن إنتاجهم إلى الأدب الرخيص الماخن الذي يغذى الجانب الهابط في النفس

والأقبا بالننا لا تقرا — والهن تتوالى على المروبة ، والضربات تتابع على أقطار الإسلام — إلا أدب الضعف والآنحدار ! أدب التدهور والآنحدال ! كأننا لسنا في صراع مع الاستعمار !! ألم تكن مأساة فلسطين الدامية ، وتشريد مليون من أبناءها من إخواننا وأبناء عمومتنا وهيامهم على وجوههم في المهامه والقفار، يفتك بهم البرد والجوع .. كافية في أن تهزمتنا القلوب، وتشمل الأفئدة ، وتضرم الجوانح ؟

لقد نظرت إلى الأدب قبل المأساة وبمدها فلم أجد تقيرا وانحيا إلا عند قلة من الأدياء ، يدنون على أصابع اليد الواحدة إن المركة القاعمة اليوم بين حق مصر وباطل بريطانيا ليست مركة مصر وحدها، وبريطانيا وحدها، ولكنها مركة الشرق العربي بأسره ضد الدول المستعمرة التي تظاهر بريطانيا في باطلها .

في اليوم الثامن من أكتوبر من العام الحالى أعلنت مصر إلغاء معاهدة الظلم والاستعباد؛ وقالت كلمها الخالدة مدوية في آفاق العمورة فرددت الشموب العربية والدول الإسلامية صرخة مصر، وقامت المظاهرات في دمشق وبشداد وبيروت وطهران والدار البيضاء معلنة تضامنها مع مصر المجاهدة، صارخة صرخة الحق في وجه المستعمر الغاصب بأن يجلو عن وادى النيل ، ويعترف بحق مصر في الحرية والاستقلال

ثم صارت مصر الاستعمار مرة ثانية حين أعلنت رفضها لما أسماه مقترحات الدول الأربع للدفاع عن الشرق الأوسط؛ فخطمت آمال المستعمرين وقلبت خططهم رأسا على عقب

ووقفت الشقيقات العربيات أيضا من مصر المجاهدة موقف التأييد التام والتضامن الكامل ضد أقطاب الاستعمار، كما وقف العالم الإسلامي ينادى بحق مصر في سيادتها على القناة ، وحقها في جلاء الجيوش المحتلة عن أراضيها ، وحقها في الوحدة ، وكان ذلك الموقف الرائع من المالمين العرب والإسلامي دليلا واضحا على أن العرب والمسلمين قد اكتمل وعيهم ، واستوى نضجهم السياسي ولم تعد تنطلي عليهم حيل الدول المستعمرة ، بعد أن أخلصوا لها الود ، وقدموا المونة في حربين عالميتين فقبلوا بالتشكر لأمانهم القومية . والاعتداء على حقوقهم السياسية

وليس الحرب بين الإسلام والاستعمار وليدة اليوم . وليس الصراع بين الشرق والغرب ابن عامه هذا ، ولكنه صراع بدأ بعد الحرب العالمية الأولى منذ انتصر الحلفاء، فحسموا الشرق العربي بينهم، وجزوه إلى دويلات ضيقة لا تستطيع النهوض حتى يتمكنوا بذلك من استعمارها أكبر مدة من الزمن . ولكن الصراع ليس صراعا سياسيا فحسب ، بل هو صراع ديني واجتماعي قبل أن يكون صراعا سياسيا ، إنه صراع المبادئ والأفكار ،

وتناصرها في عدوانها على الشعوب الضعيفة

إنها المركة التي تنفذ القرائح عند أدبائه العرب والإسلام، فتدفعهم دفعا إلى السائمة فيها

قد يقال إن هذا أدب مناسب في كارثة لا يابث أن يزول . إنه كقائمة سيف مما قليل تكشف . والإجابة عن ذلك أن هذا ليس أدب مناسب، ولكنه أدب خالد، فأدب القوة والكفاح أدب خالد.. لأن الأمة الضعيفة لا وجود لها في عالم تسوده القناب والأسود

إن كثيرا من الشعراء الأوربيين قد خلدوا بأسفارهم الوطنية التي أيقظت في نفوس أممهم روح التضحية، وأوقدت في قلوبهم النضوة والحمية، فهذا أنت في ألمانيا في القرن التاسع عشر يقول لقومه بمد موقمة « به نا »

(أعطوني وطننا حرا وأنا أرضى عندئذ أن أفقد كل شهرتي فيصبح اسمي منسيا لا يذكر في غير داري ودار جاري.

أعطوني بقعة من أرض جرمانية يستطيع فيها المندياب أن يتردد دون أن يرمى بسهم فرنسي

أعطوني كوخا حقيرا يستطيع أن يصبح ديكى فوق حاجزه دون أن يقع فريسة في يد فرنسي، وأنا أصبح عندئذ مثل الديك، وأغرد مثل المندياب بكل فرح ومرور، ولو أفقد كل ما ملكته بدى فلم يبق لي شيء يستر جسمي غير قيص بال (١)

تريد أدبا بمد وثبة مصر الجبارة يختلف عنه قبلها، تريد من أدبائه وادى النيل وهم كثر والحمد لله ومن أدبائه البلاد العربية أن يشتموا آذاننا بالأفاني والأهازيج الحساسة الوطنية التي تيمت الثقة في النفوس وتعلوها قوة وبطولة

تريد من الشعراء المشهورين أن يطربونا بشعر القوة والذرة، ومن كتابنا وناثرينا أن يديبوا لنا المقالات الطويلة من الإيمان القومي، والوطنية الصادقة، والاستشهاد في سبيل الوطن... وبوجه عام تريد من الأدبائه والشعراء والمؤلفين وكتاب القصة والمسرحية أن يتخذوا من أقلامهم سيوفًا تسل في وجه الظلم، وحرابا

(١) من كتاب آراء وأجاديث في الوطنية والقومية للأستاذ ساطع

الحصري ص ٧٥

تصوب إلى صدور الأعداء

وتريد منهم أن يثيروا أحقادنا الدفينة لدى الدول الاستعمارية، وأن يذكرنا جذرة الوطنية في نفوس هذا الجيل والأجيال القادمة، ويشملوها حربا مستمرة الأوار على الاستمهاز للظالم في كل مكان

ولست أريد أن أمنهم من الأدب الداني.. أدب العاطفة والوجدان، ولكني أرى أنه لا بد لهم مع أدبهم في الذممة والابتسامة، والمهجر والوصل، والفراق واللقاء.. من الأدب القوي يعجد الوطن، ويؤجج الوطنية، وينفخ في الشباب روح الرجولة والقوة، والمزعة والكرامة، والحربة والاستقلال، ولا تريد أن يقف بهم الأمر عند أدب الوهم والخيال.. أدب المهمات والشطحات بل يضيفوا إليه أدب البطولة والمجد والرفعة والملاء

هذه صرختي أوجهها إلى الأدبائه، وأنا وطيد الأمل في أنها ستجد منهم آذانا صاغية. وأختتم هذه الكلمة بأبيات للشاعر الهجري ميخائيل نعيمة :

أخي ما الصبر؟ إن الصبر كفران وخذلان
أخي ما نحن بالأحرار لكن نحن عبدان
لقد ضاقت بنا الأوطان ما للهدد أوطان
أخي ما السجن هل في السجن آلام وحرمان؟
وهل يجدي مع الأحرار قضبان وسجان؟
سوانا يهرب القضبان أو تثنيه جدران
إذا كنا شرارات فنحن اليوم بركان

فصل السرافيري

ظهر المجلد الثالث

من كتاب

وحي الرسالة

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك